العمل والراحة

قال تنسون الشاعر الانكليزي المشهور "خمسون سنة في اوربا خير من دهر في الصين" وعند الصينيين مثل وهو "يوم واحد مثل ثلاثة ايام" يريدون بذلك انك اذا عرفت كيف تغتنم الفرص لاتمام عمل ما فيوم واحد يساوي ثلاثة. وقال السر والترسكوت في احدى قصائده ما معناه "ساعة من حياة مجيدة تساوي عمرًا بلا اسم ولا شهرة"

ويرى الباحث المدقق ان الناس على اختلاف طبقاتهم وعصورهم ومعارفهم اتفقوا على هذه الحقيقة وهي ان الانسان قد يستطيع اتيان الاعمال العظيمة باجهاد قواه في اوقات قصيرة وان الدقائق والساعات كالناس متفاوتة في الرتبة والمنزلة

الحيوان — ضرب الناس الامثال منذ القدم بجد بعض انواع الحيوان وكسل الآخر فمن ذلك جدّ النملة وكسل الصرصور وسعي السلحفاة ونوم الارنب وحكايتهما معروفة. ولكن العلم والبحث يثبتان ان الانسان غالى في اتهام بعض الحيوانات بالاكثار من الحركة. فان اجراء الهرّة لا تقضي اكثر وقتها في الحركة كما يظنّ. وصغار الاولاد لا يقضون اكثر يومهم في اللعب كما هو المشاهد بل يقضي الفريقان جانبًا كبيرًا من وقتهما في الراحة والسكينة

ثم ان هناك حيوانات ليلية قيل انها لا تنقطع عن العمل ليلاً ولا نهارًا منها حشرة مكرسكوبية قال الدكتور هرج والدكتور ايكنس انها تعمل على الدوام وليس لها فترة تنقطع فيها عن العمل مثل الحيوانات العليا. وبعبارة اخرى انها لا تكلّ ولا تنام. لكن هذا الحكم يصدق عليها اذا وافقتها الاحوال وهذا لا يسبق لها فيمرّ بها دور راحة تنقطع فيه عن العمل انقطاعًا الزاميًّا ناشئًا عن عدم ملاءمة الاحوال الخارجية لها

وكلما ارتقينا في سلّم الحيوان رأينا تفاوتًا بين الحيوانات في مدد عملها وراحتها فالاسماك وذوات الفقرات الدنيا تنام مدات طويلة ثم تعود الى الحركة والعمل بجدّ ونشاط وكذلك الاسد والنمر والفيل والجمل والفرس وسائر انواع الحيوان تنام ثم تستيقظ قوية نشيطة الى العمل. وكلما طالت مدة يقظة الحيوان وحركته طالت مدة نومه وراحته

ومن الحيوانات ما يقضي جانبًا كبيرًا من عمره في سبات عميق تتوقف مدته على الاقليم والنوع. ولا يعلم مقدار ما يفعله هذا السبات بقوى الحيوان العقلية والبدنية حال يقظته وحركته ولكن لما كان السبات عاملاً من العوامل في الانتخاب الطبيعي وبقاء الانسب فذلك دليل على انه لم يكن خاليًا من النفع للحيوان. وما يقال عن الحيوانات التي تنام طويلاً

يقال عن الانسان الذي يفعل فعلها مثل بعض فلاحي روسيا الذين ينامون اكثر فصل الشتاء اقتصاداً في النفقة

الطفل — من المعلوم ان الطفل مغرم باللعب واجهاد قواهُ البدنية الى درجة الاعياء وكذلك اجهاد قواهُ العقلية عند ما يبدأ بالتكلم في محاولة النطق وشدة الاصغاء وتقلد حركات من حولهُ وسكناتهم حتى اذا كلَّ وملَّ ثاب الى السكينة والراحة . وعليهِ فهو يقضي معظم الوقت قبل دخول المدرسة في اللعب والرياضة ما عدا اوقات الاكل والنوم . فكأنهُ مسوق الى ذلك بقوة تدفعهُ الى اجهاد قواهُ غاية الاجهاد

يستنتج مما تقدم ان المدرسة تضر الطفل بطول مدة الدرس والعمل قبل الظهر وبعدهُ فيجدر بالمدرسين ان يغتنموا الفرص القصيرة التي تكون قوى الطفل فيها مهيأة للشغل والعمل ليطبعوا فيها ما يريدون طبعهُ في ذهنهِ ولا نظن انهُ يلزم المعلم اكثر من ساعة لتعليم الطفل وتثقيفهِ في حالة نموهِ . ولذلك قام كثيرون في جميع انحاء العالم يقولون بوجوب تقليل ساعات الدرس . وذلك عين الصواب ان صحَّ ما يقال من ان دقائق قليلة وقوى الطفل على اشدها انتباهاً اوفر نفعاً من بقية نهارهِ

ومن خصوصيات الاطفال سرعة انتقالهم من الحركة الى السكون ومن الذكاء والنباهة الى الخمول والبلادة ولو في الظاهر ومن العمل الى البطالة عقلياً وبدنياً والضد بالضد . فقد يتفق كثيراً ان المعلم يحاول تعليم الاولاد شيئاً يقولونهُ في الاحتفالات العمومية ويبذل المجهود في ذلك فلا ينجح لما يراهُ فيهم من الاهمال وعدم الانتباه والخمول في الظاهر حتى يستولي اليأس عليهِ ولكن اذا جاءت الساعة الموعودة اظهروا من الذكاء والنجابة ما يحيرهُ ويقضي عليهِ بالعجب والدهشة

المرأة — جاء في المثل الانكليزي ان المرأة لا تتم عملها . وفي هذا ما فيهِ من الاجحاف بحقها فقد قال احد العلماء ان الاعمال التي تستوجب ساعداً شديد العضل لاتمامها انما هي منوطة بالرجل واما العناية بالاولاد وسائر ما يتعلق بتدبير المنزل من الاعمال التي يكون انفاق القوى فيها اطول مدة واقل شدة فمنوطة بالمرأة . واما بين المتوحشين فان اعمال المرأة تشبه اعمال الرجل من حيث مشقة العمل وطول زمن الراحة وسرعة الانتقال من حال الى حال

واما سرعة انتقال المرأة من حال الى حال فظاهر من سرعة ادراكها وشدة بداهتها . فاذا عرض للرجل والمرأة امرٌ اشكل عليهما حلُّهُ او وقعا في حيرة وارتباك فالغالب ان المرأة تجد مناصاً لها منهُ قبل الرجل . وفي التاريخ حوادث كثيرة تمكنت المرأة فيها من تخليص ذويها ببداهتها وتفننها في استنباط الحيلة

على ان قسمًا كبيرًا من عمل المرأة في البلاد المتمدنة ليلي كالرقص والمسامرة والتمثيل في الملاهي والمراقص ونحو ذلك مما يعدُّ عمل النهار بازائهِ راحةً لا تعبًا ومما فاقت الرجل فيهِ

النابغة — لقد كثر كلام الناس على النوابغ فالتفتوا الى الموهبة العقلية التي يمتازون بها من حيث علاقتها بالاعمال التي عملوها فقالوا ان الموهبة مظهر من مظاهر النشاط وانها ليست الاَّ العمل والاجتهاد او هي مقدرة الانسان على العمل الشاق . وانما جعلهم يعتقدون هذا الاعتقاد ما يرونهُ من ان النوابغ مضطرون الى العمل الشاق ليعيشوا والى العمل الطويل لينالوا الشهرة وتظهر مواهبهم . ولكن النوابغ الحقيقيين يتمون اعمالهم العظيمة باجهاد قوامهِ في مدات قصيرة لا بالعمل المستمر ولا بالتعب الطويل

ومن الغريب ان النابغة يمتاز بقابليتهِ للانتقال بسرعة البرق من حال الى حال كانهُ يجمع بين الاضداد فينتقل من درجة سيولة القريحة الى جمودها في اقل من لمح البصر ومن الحكمة والذكاء الى الجهل والبلاهة ومن الاجتهاد في اقصى درجاتهِ الى الخمول في ادنى دركاتهِ حتى كتب احدهم كتابًا في بلاهة النوابغ . وليست البلاهة في النوابغ الاَّ امرًا طبيعيًا وما من نارٍ الاَّ وتخبو بعد ذكائها . فقد قال بعضهم اذا بطل الالهام للنابغة عاد رجلاً مثل سائر الناس ان لم نقل اقلَّ منهم . واعظم نوابغ الشعراء نظموا ارك انواع الشعر

المجرم — قال بعض العلماء ان المجرم كثير الكسل الاَّ انهُ قد تمرُّ بهِ دقائق ينشط فيها للعمل فيأتي اعظم الجرائم والمنكرات كالسكر والخلاعة والصخب . قال احد المشالين لعالم من العلماء اذا عرضت لنا التجربة لا يستطيع احدٌ منَّا ان يكبح جماح نفسهِ فلا بدَّ لنا من السرقة . وعند ما يرتكب المجرمون جرائمهم يظهرون اقدامًا عظيمًا وانفعالاً قويًا واحتيالاً غريبًا ثم لا يلبثون ان يعودوا الى الخمول والسكون مدة طويلة

المتوحش — المتوحش يكره العمل بشهادة السياح والفلاسفة ثم ان علماء اللغات زكُّوا هذه الشهادة بان ابانوا ان الكلمات المستعملة للعمل في كثير من اللغات كالعبرانية واليونانية واللاتينية والفرنسوية والايطالية انما تعني التعب والمشقة . ومن رأي بعض العلماء ان اعتياد العمل من مبتكرات الانسان المتمدن . على ان الشعوب المتوحشة تعمل اعمالاً كثيرة وان تكن البواعث التي تحملها على العمل ليست نفس البواعث التي تحمل الامم المتمدنة عليهِ . وليس كرهها للعمل ناشئًا عن التعب البدني بدليل انها تعمل بعض اعمالها كبعض انواع الرقص مثلاً حتى تكلَّ فتنقطع عنهُ من فرط التعب والاعياء . بل هو ناشئ عن اجهاد الفكر والارادة . فكره المتوحش للعمل مصدرهُ عقليٌّ لا بدنيٌّ وهو يجد بالرقص وما اشبههُ من الحركات وسيلة سهلة

لانفاق القوة العصبية المذخورة في دماغهِ من غير ان ينزعج

هذا وقد كتب احد العلماء كتابًا في وصف بعض القبائل المتوحشة . ومما قال فيهم انهم جامعون للاضداد فهم اسرع الناس في قضاء الاعمال وابطأهم وهم اقواهم واضعفهم واميلهم الى الحرب واليهم عريكة . وانتقالهم من حالة الى ضدها يتم باسرع من ميض البرق . واذا جلسوا للراحة بعد العمل طالت مدة استراحتهم كثيرًا . فانهم يطاردون الغزال مثلاً ساعات متوالية ويغزون القبائل المجاورة لهم اياماً متتابعة ومع ذلك فالمعروف عنهم وعن نسائهم واولادهم انهم يقضون معظم اوقاتهم مستلقين على ظهورهم متمرغين في التراب . فاذا قيس عملهم بالساعات وجب ان تقاس راحتهم بالايام

الجنس — لا يبعد ان يكون لكل شعب من الشعوب اوقات ينتقل فيها من العمل الى البطالة ومن البطالة الى العمل ويصح ذلك بنوع خاص اذا فرضنا ان للشعوب صفات ذاتية تقابل المواهب التي يمتاز بها النوابغ . فقد قال احد علماء الانكليز في الكلام على نوابغ الامة الانكليزية ان لظهورهم وانقطاعهم ادوارًا كما يظهر من توزيعهم في القرون وانصاف القرون . فعصور التاريخ كعصر الملكة اليصابات وعصر الملكة فكتوريا في تاريخ الانكليز وعصر القيصر اوغسطس في تاريخ الرومان وعصر بركليس في تاريخ اليونان وما اشبهها من العصور في تواريخ الامم الاخرى كلها ادلة على وجود النوابغ في فترات قصيرة على حين ان العصور المظلمة طويلة المدة ولم يقم فيها نابغة . ألا ترى ان ثورات اوربا المختلفة وحوادثها السياسية العظيمة والاختراعات والاكتشافات حدثت في عصر بركليس عند اليونان القدماء وعصر اليصابات وفكتوريا عند الانكليز وفي هذا العصر عند الاميركيين وعليهِ فني الشعوب كما في الافراد تتمّ عظام الاعمال في اقلّ الاوقات . يتم في سنة ما لا يتم في قرن

يظهر مما تقدم ان اجهاد القوى لاتمام الاعمال في مدات قصيرة واتباع ذلك بمدات أطول للراحة خير نظام يمكن اتباعهُ في الاعمال كما اثبت الاختبار والادلة الكثيرة في طرق ترويض الانسان والحيوان ولقصير اوقات الدرس الى نصف ما هي عليهِ وانقاص ساعات العمل للعمال ومستخدمي المحلات التجارية . وقد أبان بعضهم ان ساعتين من العمل البدني او العقلي في اليوم تكفيان الناس اذا امكن توزيع نتائجهما عليهم بالتسط بعد ما تمّ من الاتقان في الآلات التي تغني عن يد الانسان والسهولة في طرق النقل . وما قيل في الاعمال البدنية يقال في الاشغال العقلية ايضاً . وهذا ما لابدَّ ان يتمّ في مستقبل الايام

(ملخصة من مقالة للدكتور الكسندر فرنسيس تشمبرلن في مجلة العلم العام الاميركية)